وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم / اللغة العربية

شعر محمود البارودي
الفخر انموذجاً (دراسة فنية)

بحث مقدم من قبل الطالب (عبد الجبار خليل ابراهيم الشميسي)

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وادابها

بأشراف

د. لؤي صيهود التميمي

١٤٣٧هـ

٢٠١٦م

((بسم الله الرحمن الرحيم))

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]

((صدق الله العظيم))

[المجادلة: ٩]

الإهداء:

الى الأمي الذي هدى هذه الأمة...

الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم)

الى الشمس التي اشرقت دوماً لتنير أحلى زهرات عمري...

أمي الحبيبة.

الى القمر الذي اضاء ليالي ايامي ببعث الأشعة الفضية...

ابي وأخي الحبيب الاستاذ جلال.

الى نجوم سمائي المتلألئة بوجودهم... اخوتي واخواتي.

الى من زادنا علماً وحلماً واحتراماً... اساتذتي الأفاضل.

الى كل الأحبة الذين رفعوا ايديهم بالدعاء...

الأهل والأصدقاء.

الى كل يد لمست وتصفحت هذا البحث.

شكر وتقدير

الشكر أولاً وآخراً لله سبحانه وتعالى على ما انعمه علينا من نعمه الواسعة التي لا تعد ولا تحصى، ولرسوله الكريم محمد -عليه افضل الصلاة والتسليم- الذي اخرج الناس من الظلمات الى نور الهدى.

كما اتقدم بالشكر والتقدير الى الدكتور لؤي صيهود التميمي لإشرافه على انجاز هذا البحث المتواضع. كما اتقدم بجزيل الشكر الى اساتذتي الاعزاء في قسم اللغة العربية بشكل عام واخص منهم بذلك رئيس قسمها الدكتور محمد عبد الرسول.

الباحث

المحتوى

ت	الموضوع	الصفحة
-	الآية الكريمة	أ
-	الإهداء	ب
-	الشكر والتقدير	ج
	فهرست المحتوى	
-	المقدمة	١ - ٢
-	المبحث الأول.	٣
-	المطلب الأول: - الفخر التعريف به، وتطوره، وأنواعه.	٤ - ٧
-	المطلب الثاني: - محمود سامي البارودي اسمه ونسبه وحياته ونشأته.	٨ - ١٠
-	المطلب الثالث: - مميزات شعره وآراء النقاد فيه شاعراً.	١١ - ١٢
-	المبحث الثاني	١٣
-	المطلب الأول - الفخر الذاتي قصائد وتحليل	١٤ - ٢١
-	المطلب الثاني - الفخر الاجتماعي - قصائد وتحليل	٢٢ - ٢٦
-	الخاتمة	٢٧
-	قائمة المصادر والمراجع	٢٨

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المقدمة:-

الحمد لله منشئ الخلق من عدم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وعلى آله الثقاة وأصحابه الأباة وعلى من سلك هذا الدرب واقتفاه.

أما بعد:

كان سبب اختياري لموضوع الفخر في شعر محمود سامي البارودي هو انني وجدت ان الشاعر قد اجاد في هذا الغرض الشعري وقال فيه قصائد لا يضاهيه فيها الا القليل من كبار الفحول وهي شهادة قالها في حقه النقاد وسبب اجادته في الفخر والحماسة يعود الى نفسيته الابية وشخصيته الطموحة وطبعه السليم وقرائته لشعر الفخر والحماسة واطلاعه على أشعار الآخرين الاقدمين وتأثره بها.

وقد قسمت بحثي هذا على عدة محاور اتناول في مقدمتها التعريف بالفخر لغة واصطلاحا ثم اهم مراحل تطور الفخر على مر العصور الادبية وانواع الفخر المتعارف عليها منذ القدم كالفخر الذاتي والفخر الاجتماعي ثم بعد ذلك انتقل للحديث عن حياة الشاعر واسمه ولقبه وكنيته والاغراض الشعرية التي تطرق اليها واختتم بآراء النقاد في شاعرنا قبل الانتقال الى المبحث الثاني الذي تناولت فيه الفخر الذاتي

الشخصي عند الشاعر فاتناول قصائده الفخرية التي افتخر فيها بنفسه وقوته وشجاعته واقوامه بالشرح والتحليل.

ثم انتقل الى المطلب الثاني اذ تناولت فيه الفخر الاجتماعي عند الشاعر واهم القصائد التي افتخر فيها بقومه وهو يصف مناقبهم وشرفهم وقوتهم وتحليل تلك القصائد ثم اختتمت بحثي بخاتمة موجزة تناولت فيها اهم ما توصلت اليه من نتائج اثناء البحث ومن اهم المصادر التي اعتمدت عليها في بحثي (الادب الحديث لعمر الدسوقي، وتاريخ الادب العربي لاحمد حسن الزيات).

والله ولي التوفيق...

المبحث الأول

المبحث الاول

المطلب الاول:-

الفخر، التعريف به، وتطوره، وانواعه.

الفخر لغة:- فخر الرجل فخراً وفخاراً وفخارة. تباهى بماله وقومه من محاسن وتكبر، تفاخر تعاظم وتكبر والقوم فخر بعضهم على بعض، استفخر الطين صار فاخراً والفاخر النفيس من كل شيء[1].

والفخر هو ادعاء العظم والكبر والشرف، والفخر من الفعل مايكون في كقولنا: فخر فلان على فلان اليوم في الشرف والمجد والمنطق - اي فضل عليه.

وفي الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر)[2].

والفخر اصطلاحاً:- (هو التطاول على الناس بتعديد المناقب)[3].

والفخر ايضاً وباب واسع من ابواب الشعر العربي وغرض مهم عرفه الجاهلي في جاهليته واسم عليه الاسلام في بدء دعوته الى عهرنا هذا، ويكون في الشعر والنثر لكانه في الشعر اكثر ومعناه التباهي بالصفات والعادات والاخلاق الحميدة المشتركة من قبل المتفاخرين او قومهما او شيعته على الاخرين وقد يصحبه القدح بالاخرين[4].

---

(1) المعجم الوسيط. ابراهيم مصطفى. احمد حسن الزيات: ٦٧٦

(2) ينظر لسان العرب ابن منظور: ١٩٨-١٩٩

(3) كتاب التعريفات للجرجاني: ٣٦

(4) ينظر تاريخ آداب العرب مصطفى الرافعي: ٩٠

وقد تطور الفخر على العصور الادبية اذ نجده في العصر الجاهلي انعكاساً لحياة الشاعر القاسية على نفسه التي اولدته قوة وصراحة حتى انفجرت فخراً وحماسة بسبب العصبية القبلية والحياة الفطرية. فتراه يفخر بعشيرته وقبيلته ويرفع من منزلتها فيأتي كلامه مدوياً شديد الايقاع وهذا يقودنا الى النفور من الظلم والعار والاباء من الذلة والمذمة وكان يفخر بشرب الخمر واعتقادهم ان الخمر كان في الجاهلية نادرة وغالية الثمن (١).

وقد ظل العرب يفخرون باخلاقهم ومثلهم حتى جاء الاسلام فجمع كلمتهم تحت رايته الموحدة وتناول اخلاقهم وعاداتهم فذهب بها ووجهها الى طريق الاستقامة والخير وقد هجر الشعراء المسلمون الاغراض الوثنية كالقسم بالاوثان والكلام في العصبيات والفخر بالخمر وبالنساء الا قليلاً، ثم احلوا مكانها المعاني الاسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والحسنة (٢).

---

(١) ينظر العصر الجاهلي يوسف عطا الطريفي: ٢٠٠

(٢) ينظر الادب العربي فواز الشعار: ٦٠

والفخر على انواع منها الفخر الاجتماعي: ويقصد به ان يفتخر الشاعر بامجاد قومه وايامهم المشهورة ومثالبهم (١).

اما الفخر الذاتي فهو ما دار حول عقل الشاعر وقلبه ولسانه وساعديه وحول آبائه واجداده (٢).

اذ نجد كثيراً من الشعراء يفخرون بقوتهم وشجاعتهم وبالتهم في مواجهة الاعداء وربما كان للبيئة الصحراوية القاسية تأثير في دفع الشاعر الجاهلي الى الفخر بذاته وقوته ليكون رد فعل لتلك الحياة الصعبة (٣).

ومع ظهور الاسلام وبدء الفتوحات ظهر الفخر الديني، اذ وجد العربي نفسه خائضاً في القتال الذي فرضته هذه الفتوحات واصبح القتال جزء من حياته اليومية (٤).

---

(١) ينظر الادب الجاهلي لسامي يوسف ابو زيد: ٨٩

(٢) الادب العربي، فواز الشاعر: ١٠٥

(٣) ينظر الادب الجاهلي: ٨٩

(٤) ينظر الادب العربي ص ١٠٦-١٠٧

وكثيراً ما يقترن الفخر بالحماسة التي تعني وصف المعارك والحروب ووصف الخيول وادوات الحرب فاذا تعدى الشاعر ذاته الفردية وبلغ الذات الجماعية التي تمثلها القبيلة او العشيرة او الحزب او الطائفة او الدين فانه ينتقل من الفخر بمعناه الضيق الى الحماسة بمعناها الشامل[1].

لذلك نجد كثيراً من معاني الفخر تقع في باب الحماسة ومن هذا المنطلق لم يفرد (ابو تمام) باباً للفخر وانما تحدث عنه في باب الحماسة الذي سمي مختاراته باسمه[2].

يتبين مما سبق ذكره انه الفخر لدى العرب له مكانة خاصة منذ القدم الى عصرنا هذا وتكاد تكون له الصدارة في الادب العربي في كل عصر، اذ يمارسه كل شاعر يتغنى بنفسه وقومه غير ان تغنيه وممارسته هذا الغرض يختلف من عصر لاخر ومن شاعر لاخر في الاتفاق على ان الغاية الهادفة من ذلك هو اظهار الصفات الحميدة والاعلاء من شأنها.

---

(١) ينظر الادب العربي: ٦٤

(٢) ينظر الادب الجاهلي: ٣٩

المطلب الثاني:-

محمود سامي البارودي، اسمه ونسبه وحياته ونشأته:-

اسمه ونسبه:-

هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري حركسي الاصل من سلالة المقام السيفي الأتابكي وقيل سبب تسميته بالبارودي لانه حفيد مملوك عهد اليه بالترسانة في بولاق بصناعة البارود وهو البرون لصنع المدافع ومن هنا سمي بالبارودي[1].

حياته ونشأته:-

ولد البارودي في القاهرة سنة ١٢٥٥هـ-١٨٣٩م من اسرة حركسية ذات جاه ونسب تنتمي الى حكام مصر المماليك وكان البارودي يعرف هذا بقوله:

انا من معشر كرام على الدهر
افادوه عزة وصلاحا
عمروا الارض مدة ثم زالوا
مثلما زالت القرون اجتياحا

وتيتم محمود البارودي صغيرا. وهو في السابعة من عمره فحرم بذلك من حنان الاب ورعايته فكفله بعض اهله[2].

---

[1] معجم الشعراء، كامل سلمان الجبوري: ٣٧٨

[2] ينظر في الادب الحديث، عمر الدسوقي: ١٢٩

وتلقى البارودي دروسه الاولى في البيت حتى اكمل الثانية عشرة من عمره
ثم دخل المدرسة الحربية مع امثاله من الجراكسة والترك وابناء الطبقة الحاكمة
فتعلم الفنون العسكرية وتخرج منها ضابطاً وهو في السادسة عشرة من عمره
وكان لا يزال بعد الحداثة مولعاً بحفظ الشعر وانشاده وبعد فشل الثورة
التي قادها (محمد علي) في مصر احس البارودي بالم في نفسه إذ لم
يشترك في الحرب كما اشترك آباؤه وكما كان يود ان يحقق عن طريق
الجندية والجيش آمالاً ضخمة وأمانياً عريضة فاتجه بعدها الى كتب
الاقدمين يلتهمها التهاماً وكانت ملكة الشعر كامنة في حنايا فؤاده
فراقه من التراث الادبي شعر الحماسة والفخر ووصف ميادين القتال
واعمال الابطال فتحركت نفسه لقول الشعر وقاده محمول الشعراء في
أروع قصائدهم فهو مطبوع على قول الشعر مثله مثل البلبل ينطق
بالغناء فطرة وجبلة. ولكن مصر قد ضاقت به او ضاق بها فسافر الى
الاستانة مقر الخلافة وهناك تعلم الفارسية والتركية كما تعلم ادبهما
وحفظ كثيراً من اسفارهما واتصل هناك بـ (الخديوي اسماعيل) فالحقه
بحاشيته وعاد به الى مصر واتخذه كاتم سره. سافر بعدها البارودي الى
الاستانة في رحلتين سياسيتين في مهمة خاصة بجوار الخديوي اسماعيل[1].

---

(1) ينظر الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ج٢، ص١٤٦، ١٤٧.

وقد تدرج البارودي في الرتب الحربية حتى وصل الى رتبة لواء وكان احد ضباط الحملة المصرية في ثورة البلقان واقر بطش وتولى عدداً من المناصب الادارية فكان مديراً للشرقية ثم رئيساً للضبطية وتقلد نظارة الاوقاف ووصل الى رتبة فريق وترأس نظارة الجهادية وبعد احتلال الانجليز لمصر نفي الى جزيرة سرنديب سيلان فلبث في منفاه سبعة عشر عاماً تعلم في اثنائها اللغة الانجليزية ونظم بدائع شعره بالعربية ثم عفي عنه وعاد الى مصر في سنة ١٣١٧هـ فلم يعش بعدها الا خمسة سنوات قضاها في الشيخوخة قانعاً في مطالعة الكتب محادثة الصحبة وقد كف بصره قبيل موته[١].

---

(١) ينظر تاريخ الادب العربي، احمد حسن الزيات: ٣٣٢-٣٣٤

المطلب الثالث:-

مميزات شعره، وآراء النقاد فيه شاعراً.

اذا عدت مميزات شعره فيكفينا النظر الى ان البارودي لم يكن يتعسف في نظمه بل كان يتدفق على لسانه تدفقاً تلقائياً، لا يشعر القارئ بانه يجري في رفق وهدوء من دون اضطراب او قلق[1].

وكان البارودي يؤمن بان الفن تهذيب وصقل وجهد متصل وتحسين مستمر وان الطبع وحده لا يكفي لذلك لذا كان يتعهد بالتهذيب والرعاية ويروى انه قد رتب ديوانه بعد عودته من المنفى واعاد النظر فيما قاله من قصائد، وحذف بعض الابيات التي لم يرتضيها حتى لا يخلف للاجيال المقبلة غير الشعر المصقول لفظاً ومعنى، فجاء شعره ياخذ بمجامع القلوب من حيث موسيقاه وتناسق ابياته وقوافيه وانسجام الفاظه، اذ كان البارودي يتخير الفاظ للمعاني التي يريدها فيرق ويلطف حين يكون الموقف يقتضي الرقة واللطف كأن يتغزل او يصف منظراً جميلاً ويجزل شعره ويجلجل لفظه حين ينشد في الحماسة والفخر والمديح وحين يصف البحر الهائج[2].

---

(١) الادب الحديث، عمر الدسوقي، ٣٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ٣٧٠-٣٨٠.

اما الحديث عن آراء النقاد فيه. فيقول الدكتور (احمد هيكل) في حق شاعرنا: انه اوضح الجميع اخذاً في الاتجاه الجديد قولهم اقواهم شاعرية واعلاهم قامة واعزهم نتاجاً باستثناء شوقي وابعدهم عن التقليدية التي غلبت على كثير من شعراء تلك الفترة.

ومن هنا يعد البارودي رائد الاتجاه المحافظ البعيد عن التكلف والتستر بالمحسنات وهو مؤسس هذا الاتجاه في الشعر الحديث[1].

ويقول الدكتور (احمد حسن الزيات): ((ان كان لامرؤ القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده ولبشار في ترقيقه وتجويده فللبارودي كل الفضل في إحيائه وتجديده...))[2].

اما صديقه الشيخ (حسين المرصفي) فيقول:

((انه لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية غير انه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً الى قراءة الشعر وعمله...))[3].

ولقد عده صاحب كتاب (معجم الشعراء من العصر الجاهلي الى ١٩٠٠م) ((بأنه اول ناهض بالشعر العربي من كبوته واحد القادة الشجعان))[4].

---

(١) تاريخ الادب العربي الدكتور محمد احمد ربيع: ١٧

(٢) تاريخ الادب العربي احمد حسن الزيات: ٤٥٤

(٣) في الادب الحديث عمر الدسوقي: ٣٦

(٤) معجم الشعراء كامل سلمان الجبوري: ٣٧٨

المبحث الثالث

المبحث الثاني

المطلب الاول:-

الفخر الذاتي في شعر محمود سامي البارودي.

الفخر الذاتي اذ بنى الشاعر كثيراً وايفخر بشجاعته وبسالته واقدامه وصبره فيصف نفسه ويذكر محامده ومن ذلك قوله مفتخراً بنفسه:

وأني أمرؤ لا استكين لصولة
وان شد ساقي دون مسعاي قده
ابت لي حمل الظيم نفس ابية
وقلب اذا سيم الاذى شب وقده
نفاني الى العلياء فرع تأثلت
اروميته في المجد وافترسعده
وحسب الفتى مجداً اذا طالب العلا
بما كان اوصاه ابوه وجده
اذا ولد المولود منا فوره
دم الصيد والجرد والعناجيج لحده

وفق الشاعر في استخدام البحر الطويل لانه بحر يحتوي على تفعيلات كثيرة وهو اطول البحور الشعرية فلذلك يكون اكثرها حملاً للمعاني ولاسيما معاني الفخر والقصيدة طويلة وكلها تجري في هذا النمط الذي تتشابك فيه ضروب من المعاني التي تدل على طبيعة البيئة التي ترفض الذل والاستسلام اذا عرفنا ان الشاعر قد نظم هذه القصيدة في منفاه*.

---

* ديوان محمود سامي البارودي: ١٦-١٧

فان عاش فالبيد الدياميم داره
وان مات فالطير الاضاميم لحده
أحد عن الملوى القريب ترفعاً
واطلب امرأ يعجز الطير بعده
ولابد من يوم تلاعب بالقنا
اسود الوغى فيه وتفرح جرده
يمزق استار النواظر بريقه
ويقرع اصداف المسامع رعده
تدبر احكام الطعان كهلوله
وتملك تصريف الاعنة مرده
قلوب الرجال المستبدة اكله
وفيض الدماء المستهلة ورده
احل صدر النصل فيه بريره
تعود لرمح لا يحاول رده
فاما حياة مثل ما تشتهي العلا
واما ردى يشفي من الداء وفده

ونلاحظ في هذه القصيدة ان الشاعر قد استخدم الفريب من الالفاظ وهذا ديدنه كما سنرى في تحليل شعره كما في قوله:

(نماني الى العلياء فرع تأثلت...) فهنا استخدم الشاعر بدلا من غزاني او نسبي لفظة نماني على الرغم مما فيها من غرابة في المعنى اذ يحتاج فهمها الى الرجوع الى المعاجم على العكس من لفظة نسبي فهي واضحة كذلك قوله تأثلت فهي غير واضحة المعنى كوضوع لفظة تأصلت التي هي مرادفة لها*.

---

*ديوان محمود سامي البارودي: ١٧٠-١٧٨

وهذا الاستخدام للألفاظ الغريبة قد يكون سببه عدة امور منها:-

اولها:- ثقافته العربية وسعة اطلاعه على تراثه العربي الاصيل.

ثانيها:- كان يكتب للتاريخ ولنفسه ولا يكتبه للمجتمع وهذا ناتج عن حالة نفسية الا وهي رغبته في نيل المجد إذن هو افتخر بنفسه وبعبارة خاصة به اكثر من خصوصيتها بالمجتمع.

ولكنه على الرغم مما في شعره من غرابة الفاظ إلا انه يجل في طياته الكثير من الالفاظ السهلة والواضحة.

اما على المستوى البلاغي فقد اورد الشاعر الكثير من الوجوه البلاغية في قصيدته التي بين ايدينا من استعارة وتشبيه وكناية وتقديم وتأخير ومجاز كما في قوله: فاما حياة مثلما تشتهي العلى
واما ردى يشفي من الداء وفده

فقد شبه الحياة وجعلها نكرة لتدل على حياة كل شخص وليست محصورة بحياته فكانه جعل العبارة مثل شائع حيث قال ما معناه: (اما حياة مثل حياة الذي تشتهي نفسه العلى وهذا لا يقبل الكسل والذل والهوان واما فالموت احق بياتك من بقائها...).

وقوله:[1]

انا ام صدر الكليم النوادي ... بين الحواضر والبوادي
انا فارس انا شاعر ... في كل ملحمة ونادي
فاذا ركبت فانني ... زين الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني ... قس بن ساعدة الايادي

لقد اجاد البارودي في استخدام البحر المتقارب في فخره على الرغم من انه بحر قليل فنه لكه من القدماء لصعوبته ولخاوفهم من الوقوع في حباله ونجد الشاعر تكلم عن مكانته وافضليته واسبقيته بان جعل نفسه مصدرا لكل صوت عال مسموع والمصدر كما هو معلوم هو الاصل على خلاف ومن ملاحظتنا القصيرة هذه انه استخدم ضمير المتكلم (انا) في كل بيت يصرح كقوله: (انا مصدر الكلم النوادي) وتارة يشير الى نفسه بياء المتكلم اذ نجد الشاعر حاضر في قصيدته بصراحة تامة وبوضوح الخطاب كما نراه لم يخرج عن ما اعتاده من ان تفتخر به العرب اذ جعل نفسه الفارس الشاعر والعرب تفتخر بفرسيتها وشعرها كقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه):

لساني وسيفي صارمان كلاهما
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي[2]

وقد كنى ايضا بان جعل نفسه في شجاعته كزيد الفوارس وهذا مبالغة في التشبيه.

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي ١٨٤/١
(٢) ديوان حسان بن ثابت: ٨١

وقال مفتخراً بنفسه:

لعمر ابيك ما خفت حماتي لنازلة ولا ارتعد الفريصد
وما قصرت في طلب المعالي ولكن ربما خاب الحريص(١)

وقال مفتخراً بشجاعته:

واني وان كنت ابن كأس ولذة لذو تدرا يوم الكريهة والاثل
وقور واحلام الرجال خفيفة صبور ونار الحرب مرجلها يغلي
اذا راعت الظلماء غيري فانما هلال الدجى قوسي وانجمه نبلي
انا ابن الوغى والخيل والليل والظبى وسمر القنا والرأي والعقد والحلى(٢)

مرة اخرى وكما هو موضوع بحثنا فخر البارودي في شعره نجد الشاعر يفتخر بنفسه وفي هذه المرة نجده يبدأ فخره بالقسم وهذا دليل على ان هناك عاذل وعذله لتقصيره في نيل المعالي فرد عليه البارودي رداً حكيماً واقسم له بانه لم يخن عقله ولم يضعف رأيه بسبب النوازل التي نزلت به وكذلك لم ترتعد فرائصه اي لم يخن وبين له انه قاصر في يوم ما عن طلب المعالي ولكن كما يقال: (لكل جواد كبوة).

وهنا نظم حكمة اذ ختم فخره بحكمة وهي قوله: (ولكن ربما خاب الحريص التي تصح ان يكون مثلاً يضرب).

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي: ٩٩.
(٢) المصدر نفسه: ٣٨١-٣٨٢.

فقل للذي ظن المعالي قريبة ... رويداً فليس المجد يدرك بالهزل
وما انا والايام شتى امورها ... بمنتضم جاري ولا خاذل خلي
اسير على نهج الوفاء بحية ... وكل امرئ يجري على الاصل
تركت ضغينات النفوس ارتاحها ... واكبرت نفسي ان ابيت على ذحل
كذلك رأيي منذ ابصرت حجتي ... وليداً وحب الخيزلى وفسحة النيل (١)

هنا ينفي الشاعر الاعتقاد السائد في المجتمع القائل بان الشخص اذا شرب الخمر ضعفت همته وذهبت مروءته ويؤكد بطلان هذا الادعاء ويقول: اني وان كنت اشرب الخمر وبالغ في ذلك حتى جعل نفسه ابناً للكأس الا انني ذو قدر وذو قوة وعزة وما ذاك جاء بجديد اذ سبقه حسان بن ثابت (رضي الله عنه) الى ذلك بقوله:-

ونشربها فتتركنا ملوكاً ... واسداً ما ينهنهنا اللقاء (٢)

واخذ يستطرد في نفسه ويصف نفسه بانها لو قورا اذا ضعفت احلام الرجال وانه الصبور اذا تسرع اوخاف القوم وانه قوي الى درجة وصف استمداد قوته من الكون فجعل الهلال قوسه والانجم نبله وفد كانت لديه هذه القوة فلا يخاف من شيء وجعل نفسه ابن الوغى والخيل والليل وما ذاك الا اخذاً قوله هذا الا من قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلم (٣)

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي: ٣٩٠/١
(٢) ديوان حسان بن ثابت: ٦٤
(٣) ديوان ابو الطيب المتنبي: ٧٨/١

ثم ضمن فخره حكمة جميلة وهذا يدل انه اذ لقيناه ينتقل من الفخر الى الحكمة ثم المثل ثم يعود الى الموضوع نفسه دون ان يشعر المتلقي بهذه الانتقالة الطريفة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تمكنه من قول الشعر وصياغته وهذه الحكمة التي اشار اليها هي (ادراك المجد لا ينال الا بالشقاء والجد) ثم نصح سالك طريق العلى بان لا يلتفت الى الوراء وهذا ماخوذ من قول المتنبي :-

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام[1]

---

(١) المصدر نفسه : ٣١٤ .

وإني لأستحيي من الجبان إذا ... صريع مرام لا يفوز بها خطلي
أقول وأتلو القول بالفعل كلما ... أردت وبشر القول كان بلا فعل
أرى السهل مقرونا بالصعب وما أرى ... يفي اقتحام الصعب ودرك السهل
ويوم الوغى كان فيه غمامة ... لها أثر من سائل الطعن كالوبل
تقحمته فردا سوى الخيل وحده ... وحسب الفتى أن يطلب النصر بالخيل
لويت به كفي وأطلقت ساعدي ... وقلت لدهري ويك فامض على رسلي
فما يبعث الغارات الا مهندي ... ولا يوكب الأخطار الا فتى مثلي

فنرى الشاعر يصف سيره على طريق الوفاء بأنه سجية وطبع مطبوع عليه وليس تكلفا منه ويشيد بنفسه عن سلوك طريق حاقديه وقد أشار فتخر بنفسه الى حكمة رائعة في قوله: (بشر القول كان بلا فعل...) وهذا تضمين للآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]

واشار بقوله: (أرى السهل مقرونا بالصعب...) الى ان الصعبة مقرونة بالأمور السهلة وان لا انفكاك بينهما، وهذا تضمين لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]

ويصف يوم الحرب ويشبهه بيوم ممطر مغبر تسيل فيه الدماء كالوبل اي امطار الغزير من شدة القتال. ويصف نفسه في النصل فقط بانه مجهز بعدة الحرب وجاهز لخوض القتال معتمدا على نفسه وسيفه.

---

[1] الصف الآية: ٢
[2] الانشراح آية ٥-٦

المطلب الثاني:-

الفخر الاجتماعي:- ويقصد به فخر الشاعر بقبيلته او عشيرته او الجماعة التي ينتمي اليها فهو بمثابة المؤرخ لها يفخر ببطولاتها ويدافع عنها ومن ذلك قوله مفتخراً بعشيرته:(١)

واني امرؤ لولا العوائق اذ غدت
لسلطانه البدو المغيرة والحضر
من النفر الفر الذين سيوفهم
لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيف عرب سيفه
تفرعت الافلاك والتفت الدهر

لقد افتخر الشاعر بقومه على طريقة الاقدمين وبالغ في الفخر بهم فوصفهم بانهم لهم حواشي تشق فجرها وطريقها في الظلمات وتحدث عن بيدهم وجعلها اذا استل سيفه تفرعت الافلاك اي خافت والتفت الدهر اي انتبه اليه وهذا أمر لا يكون الا لأمر عظيم وخطب جسيم. وقد استخدم الشاعر الاستعارة اذ ان الدهر لا يلتفت وانما الذي يلتفت هو الانسان وهذا أمر في قمة المبالغة في مدح قومه والافتخار بهم.

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي ١/٧٤

لهم عمد مرفوعة وعقائل ... والوية حمر وافنية خضر
ونار لها في كل شرق ومغرب ... لمدرع الظلماء ألسنة حمر
وخيل يعم الخافقين صهيلها ... نزائع معقود باعرافها النصر
معودة قطع الفيافي كأنها ... خوارية فتخاء ليس لها وكر
اقاموا زمانا ثم بدء شملهم ... ملول من الايام شيمته الغدر
فلم يبق منهم غير آثار نعمة ... تفرع برياها الاحاديث والذكر

ويصف غناهم وكرمهم ورفاهيتهم بان لهم عمدا مرفوعة وعقائل والوية حمر وافنية خضر اي اعلام وحدائق وان قومه فعلوا كما كان يفعل حاتم الطائي اذ كان يشعل نارا على ارض مرتفعة ليهتدي اليها الضيفان وهذا من سمات العرب ومآثرهم التي ابقى عليها الاسلام وشجعها في حين انه نبذ الكثير من افعالهم وتصرفاتهم وهذا في قوله (ونار لها في كل شرق ومغرب...) واشار الى خيل قومه بانها تعم الخافقين اي جنوب المشرق والمغرب وانها معقود باعرافها النصر ويشبه هذه الخيول بطائر العقاب الذي يذهب متى شاء والى اي مكان شاء دون كلل او ملل او تعب.

ثم بين حال قومهم الذي اشار اليه سابقا واخبرنا بان الزمن فرق جمعهم ووصف هذا الزمن بانه ذو طبيعة غادرة. وانه لم يبق شيء لم يذهب حكمه سوى الاحاديث وطيب الذكر ان كان حسنا وما بقي من آثار نعمته وان كان سيئا فعلى العكس تماما.

---

(١) المصدر السابق: ١١٧ - ١١٨

وقال مفتخراً بقومه:

أيام لا يرد الجمام لعزها ... احد ولا يرعى الجميم سوانا
في مشهر سخت حماة حلومهم ... اد بأ وخفوا للوغى فرسانا
قرنوا الشجاعة بالسماحة فاغتدوا ... قيد المحامد شدة وليانا
طلعوا على الزمن البهيم فاثقبوا ... نار الفضائل حجة وبيانا
من كل مشبوب تخال لسانه ... عند التفاهم في الندى سنانا
ان قال برّ وان أتاه مطرئ ... أوى وان سئل الكرامة لانا(١)

كنى الشاعر عن عزتهم ومنعتهم وسعة حماهم بانهم ترعى ماشيتهم الجميم اي المكان الكثير العشب وانهم يتصدرون الماء ليشربوه بينما الاخرون يتاخرون عنهم وهذا يذكرنا بقول عمرو بن كلثوم اذ يقول:

ونشرب اذا وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا(٢)

كما يذكرنا ايضاً بقول ابو فراس الحمداني اذ يقول:

نحن ناس لا توسط بيننا ... لنا الصدارة دون العالمين او القبر(٣)

ثم يصف قومه انهم ذو عقول راجحة وآداب وفيرة وفرسان شجعان يجمعون بين الشجاعة والسماحة ما جعلهم في الصدارة حيث يصفهم فيقول:

طلعوا على الزمن البهيم فاثقبوا ... نار الفضائل حجة وبيانا

اذ وصف قومه بانهم كالبدر الطالع في ليل مظلم فانبثق منه ضوء ساطع.

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي: ١١٤
(٢) ديوان عمرو بن كلثوم: ٧٠
(٣) ديوان ابو فراس الحمداني: ١٤٦

انا فنهم والعود يتبع اصله وابن الهجينة لن يكون هجانا
فاكو الحسود بناظريه وقل له ان كنت تجهلنا فكيف ترانا
انا اذا ما الحرب شب سعيرها نحمي النزيل ونمنع الجيرانا
فترى عتاق الخيل حول بيوتنا قب البطون تنازع الارسانا
هذا الفخار فدر بعينك حيثما دار الزمان فلن ترى نقصانا

ليس من الغريب ان نجد شاعرنا يفتخر بقومه ويصفهم بانهم صادقون في اقوالهم ويكرمون ضيوفهم ويفتخر بانه منهم ويضرب لنا مثلاً ليقول: (والعود يتبع اصله). ثم يقول مخاطباً وما نراه مخاطباً الا نفسه ماذا لها: (واكو الحسود...) اي احرق جلده بحماة وقل له ان كنت تجهلنا فكيف ترانا) وهذا استفهام استنكاري. ثم يصف حالهم في الحرب ويفتخر بسماتهم الحربية والتي منها حماية النزيل ومنع الجار وارجاع العدو خائباً ووجود خيلهم حول بيوتهم مستعدة لخوض المعركة في اي وقت ثم يختم مخره بقوله: (هذا الفخار) وهو صادق في قوله بان ما ذكره من صفات حميدة منها الصدق والاحسان والبلاغة والشجاعة والكرم ومنع الجار فهذه الصفات هي الفخر.

اما اذا كان شاعرنا صادقاً في نسبة هذه الصفات لقومه فالله اعلم بذلك.

وقال مفتخراً بقومه:

وأني من القوم الذين اذا أتوا ... مهولة من الاخطار باؤوا على بأو
اناس اذا ما اجمعوا الامر اصدروا ... وما هم بناظرين للغيم والصحو
اذا غضبوا اردوا الامور لاصلها ... كما ابتدأت واستفتحوا الارض بالغزو
وان حارت الابصار في مدلهمة ... من الامر جاؤوا بالانارة والمحو
واصبحت مرهوب اللسان كانني ... سعرت لظى بين الحفارة والبدو

افتخر الشاعر بقومه كعادته وافتخر بانه منهم وبين صفاتهم الحميدة ومناقبهم وانهم عزموا على أمر صعب وفيه من الاخطار وافية لايتراجعون، واذا اجمعوا لامر مشوا على القيام به غير مبالين بما يلاقونه من عدو وحسود وأمر طبيعي كالمطر والعواصف وما شاكل ذلك. وانهم قوم حلماء عقلاء يردون الامور الى اصلها وهذا ما فيهم من حلم وحكمة الا انهم شجعان فاذا غضبوا قطعوا اسباب الغضب واسباب الغضب لاتقطع الا بازالة او تأديبه اطيب ويصف قومه بانهم الحكماء السادة الذين يحلون مشاكل الناس وارشدهم لما يحتاجون ويقول ايضاً مشيداً بهؤلاء القوم أزري واستعنت بهم في مواجهة الاعداء مما جعله طليق اللسان في شعره وادبه وجعل البدو والحضر يتخاصمون ويسهرون في تفسيره وتحليله وهذا يذكرنا بقول المتنبي اذ يقول:

انام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر القوم جراها ويختصمُ (١)

---

(١) ديوان المتنبي: ٧٥

الخاتمة:-

من خلال جهدنا المتواضع في بحثنا الموسوم بـ(الفخر في شعر محمود سامي البارودي) وما اطلعنا عليه من مصادر ومتابعتنا لتاريخ تطور الفخر على مر العصور عموماً وفي شعر شاعرنا خصوصاً تبين لنا أن الفخر وكما هو معلوم من اكثر الاغراض الشعرية التي طرقت وانه متغير بتغير البيئات والمجتمعات فكل مجتمع يفتخر بما يراه اهلا للافتخار به.

والشاعر البارودي واحد من الشعراء الذين تأثروا بالتراث العربي الاصيل ومن الذين ساروا على منهاج الاقدمين وذلك واضح فيما وجدناه في شعره من التزام بعمود الشعر وطرقه للاغراض الشعرية التقليدية وألفناه شاعراً أبلغ ذي ثقافة لغوية واسعة وهذا واضح لكل من طالع اشعاره كما وجدناه يفتخر بما افتخر به شعراء الفخر الاوائل فنراه يفتخر بالسيف والرمح والفرس ولم يفتخر بالبنادق وآليات الحرب الحديثة وعلى الرغم من كثره فخره بنفسه إلا انه لم ينس قومه فجعل لهم من فخره حظاً.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ او سهو او نسيان فمني ومن الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

ت	
-	القرآن الكريم
-	الادب الجاهلي - الدكتور سامي يوسف ابو زيد - الدكتور منذر زيب كفافي - ط١ - دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ
-	الادب العربي اعداد فواز الشعار - اشراف د. اميل يعقوب ط ١ - دار الجيل بيروت، ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ
-	تاريخ اداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - راجعه واعتنى به د. درويش الجويدي - المكتبة العصرية - صيدا. بيروت
-	تاريخ الادب العربي - احمد حسن الزيات - ط ١٣، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ
-	تاريخ الادب العربي - عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت، ط٨/ ٢٠٠٦م
-	ديوان ابو فراس الحمداني. اعتنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي - دار المعرفة للطباعة والنشر ط٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
-	ديوان عمرو بن كلثوم - دار صادر بيروت
-	ديوان حسان بن ثابت الانصاري. تحقيق عبد الله سندة ط ١ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
-	ديوان المتنبي - شرح عبد الرحمان المصطاوي. ط ١ - مكتبة السيرة
-	ديوان محمود سامي البارودي حققه وشرحه علي الجارم محمد شفيق معروف ١٠/ ٢ - دار العودة بيروت
-	شعراء العرب - العصر الجاهلي - يوسف عطا الطريفي، الاهلية للنشر والتوزيع - ط١ - ٢٠٠٦
-	في الادب الحديث، عمر الدسوقي، ط ٨، دار الفكر
-	كتاب التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط ١، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
-	لسان العرب للامام العلامة ابن منظور، ط ١، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان
-	معجم الشعراء، من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٠م. كامل سلمان الجبوري، ط ١، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.